لفظة النِّعمَة
ودلالة تراكيبها في القرآن الكريم

م.م. حسام أحمد هاشم

مركز دراسات الخليج العربي- كلية الآداب/ جامعة البصرة

المقدمة

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا, من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً, وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن حبيبنا محمداً عبده ورسوله.

أما بعد

فان للقرآن الكريم كنوزاً ضخمةً من الإشارات واللفتات والإيحاءات والمعاني والحقائق والدلالات. ويُقبل العلماء على هذا الكتاب ويستمتعون بما يفتح به الله عليهم من تلك المعاني والحقائق, وان القرآن الحبيب هو أنفس ما تُوجَّه له النظرات, وتُنفق فيه الأوقات, وتُكتب حوله البحوث والدراسات.

وقد كان للمفردة واللفظة القرآنية حظاً من هذه اللفتات والإيحاءات والدلالات, إذ أن للمفردة في القرآن الكريم نصيب كبير من العناية الفنية, فالكثير منها يتسم بطابع الجدة والطرافة وتعدد الدلالات ذلك بحسب تنوع تركيباتها, فضلاً عن وجودها داخل السياق القرآني. فهي في نهاية المطاف تعطي معان عدة ودلالات متنوعة.

ومما لاشك فيه أن لكل مفردة موضعاً فنياً مقصوداً وضعت له في مكانها المناسب وان التغيير الذي يطرأ عليها من زيادة وحذف وتضعيف هو مقصود أيضاً, كما سنوضح ذلك من خلال دراستنا في ثنايا هذا البحث المتواضع.

إن موضوع المفردة في القرآن الكريم موضوع واسع ومتشعب الأطراف متعدد المناحي, غير أني آثرت أن ابحث باختصار في مفردةٍ ولفظةٍ من ألفاظ الكتاب الحكيم ألا وهي لفظة (النعمة) ودلالاتها في القرآن الكريم, ومن ثم دلالة تراكيبها من خلال وجودها في السياق القرآني.

وأحببت من خلال هذه الجولة السريعة مع مصطلح (النعمة) والفروق بين اشتقاقاتها وتعريفاتها أن أضع بين أيدي القراء نموذجاً مختصراً للتفسير الموضوعي, ذلك التفسير الذي يتتبع فيه صاحبه (مصطلحاً) من مصطلحات القرآن, ومفردة من مفرداته, في السياق القرآني كله, ويلاحظ ما في ذلك من دلالات ومعانٍ وحقائق.

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة تطرقت فيها إلى أهمية المفردة القرآنية وتعدد معانيها من خلال وضعها داخل السياق القرآني.

ومن ثم تمهيداً ذكرت فيه دور وأهمية المفردة في اللغة والقرآن الكريم, وبعد ذلك تحدثت عن لفظة (النعمة) واشتقاقاتها وتصريفاتها ومعنى كل واحدة منها حسب رأي بعض العلماء.

وبعد التمهيد قسمت البحث إلى قسمين, الأول منه تحدثت فيه عن الدلالة المعنوية للفظة (النعمة) ومشتقاتها, ومن ثم الدلالة المادية لها ولمشتقاتها. وأخيراً ذكرت المعاني المشتركة بين الدلالة المعنوية, المادية للفظة (النعمة) ومشتقاتها, أما القسم الثاني من البحث فقد تضمن الفرق بين لفظة (النعمة) وبين تراكيبها ومشتقاتها, كالفرق بين (النِعمة) و(النَّعمة) بالكسر والفتح, والفرق بين (النِّعمة و النَّعماء) و(النِّعمَ والأنْعُم).

وأخيراً توصلت إلى بعض النتائج التي استخلصتها من خلال دراستي وبحثي لهذا الموضوع, وأسأل الله تعالى أن يتقبل أعمالنا خالصة إليه.

التمهيد

إن ألفاظ القرآن الكريم اكبر بكثير من أن أتكلم عنها وأعطيها حقها مهما أطلت الحديث في هذا البحث, نظراً لما تمتلكه من جمال وتألق. فألفاظ الكتاب عبارة عن مصطلحات دينية, بعضها ورد في القرآن الكريم وبعضها ورد في الأحاديث الشريفة وبعضها يتردد على السنة الفقهاء من رجال الدين وكلها مما يحتاج إلى الشرح والبيان [١].

ولا أود إطالة الحديث هنا عن خصائص المفردة القرآنية وما تتميز به عن المفردات التي اعتدناها خارج النص القرآني, لان الكلام عن هذه الخصائص سيتضح بجلاء خلال البحث, حسبي أن أذكر هنا ميزة اعتقدها تمثل المنطلق لهذه الدراسة لاسيما وأنا ابحث تعدد الاحتمالات الدلالية للمفردة القرآنية.

فاهم ما يميز هذه المفردة هو اتساع دلالاتها مما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى [٢].

ويتألق أسلوب القرآن الكريم في اختيار ألفاظ لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها [٣].

وينبغي علينا أولاً أن ننظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف [٤], فيقال نَعمَ النعيمُ والنُعمى والنُعماء والنِعمة كل الخفض والدعة والمال وهو ضد البأساء والبؤس... والتنعُّم الترفه والاسم النِعْمة يقال: نعَّمه الله وناعمه فهو متنعم والنعمة اليد البيضاء الصالحة

والصنيعة والمنة... وما انعم به عليك ونِعمةُ الله بكسر النون منّاً وما أعطاه الله العبد مما لا يمكن غيره أن يعطيه إياه كالسمع والبصر والجمع منها ما نعم وانعم (٥).

وقال الإمام الراغب الأصفهاني في كلامه عن (النعمة) واشتقاقاتها وتصريفاتها, والفرق بين صيغها: (النِّعمة) الحالة الحسنة, وبناء النِّعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان, كالجلسة والرِّكبة.

(النَّعمة): التنعُّم, وبناؤها بناء المرَّة من الفعل، كالضَّربة والشَّتمة. والنِّعمة للجنس, تُقال للقليل والكثير.

و(الإنعام) إيصال الإحسان إلى الغير, ولا يقال إلا إذا كان الموصول إليه من جنس الناطقين, فانه لا يقال: أنعمَ فلان على فرسه.

و(النَّعيم): النِّعمة الكثيرة.

و(النَّعَمُ): مختص بالإبل, وجمعه أنعام, وسُمِّيَ بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة, لكن الأنعام تُقال للإبل والبقر والغنم, ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل.

و(نِعْمَ): كلمة تستعمل في المدح بإزاء بئسَ في الذم, واصلها من الأنعام, و(نَعَمْ) كلمة للإيجاب, من لفظ النِّعمة. تقول: نَعَمْ ونَعْمَةٌ عين, ويصح أن يكون من لفظ (أنْعَمَ منه) أي ألْيَنَ وأسْهَلَ)(٦).

مما تقدم ذكره يمكن أن نخلص إلى أن لفظة الأنعام في القرآن الكريم تعني عطاء من الله إلى عبده, ونحن ندرك بلا شك أن عطاء الله وفضله علينا متنوع, فهو عطاء معنوي وعطاء مادي, يتمثل المعنوي بما مَنَّ به علينا بالإسلام والإيمان والهداية والرحمة والطاعة... بينما يتمثل المادي بما مَنَّهُ سبحانه علينا من الرزق الحلال والمطر والزرع والإبل... الخ.

قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (النحل).

وقد سبقت الإشارة إلى ما تتميز به المفردة القرآنية من اتساع منقطع النظير في دلالتها(٧), فضلاً عن ذلك نرى أن القرآن الكريم اكسب اللغة العربية ثروة هائلة في المعاني التي جاء بها ولم يكن للعرب معرفة بها في حياتهم الجاهلية وقد عبَّر عن هذه المعاني بالألفاظ المتداولة بينهم لذا حمَّلها من المعاني ما لم تكن تحتمله من قبل وذلك بنقل بعض الكلمات من معناها إلى معنى آخر ذي صلة بالمعنى الأصل بإضافة معانٍ جديدة إلى بعض آخر من الكلمات مع بقاء المعنى الأصلي (٨), وقد جعل بعضهم ذلك من

أنواع معجزات القرآن, حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً, وأكثر, واقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر [٩].

فبإمكاننا القول هنا أن معظم ألفاظ القرآن أن لم تكن كلّها من نوع الألفاظ التي أطلق عليها ابن سينا: (اللفظ المفرد الكلمي): وهو اللفظ الذي لا يمنع مفهومه أن يشترك في معناه كثيرون فان منع من ذلك شيء فهو غير نفس مفهومه [١٠].

باستقراء سهل للفظة (نِعْمَة) في سور القرآن كافة نلاحظ هذه اللفظة الكريمة المباركة قد وردت باشتقاقات مختلفة, فكل مشتق من هذه الاشتقاقات أدى غرضاً وبعض الأحيان أغراضاً دلالية متعددة وعَبَّرَ عن معانٍ مختلفةٍ.

ومن البديهي انه لا يمكن الجزم بدلالة مفردة ما وتحديد معناها وهي خارج السياق ما لم نتعرض لها وهي في داخله ومعرفة ما يدور حوله فالقرآن الكريم كان يختار الكلمة قاصداً لفظها ومعناها في موقعها المحدد [١١], وقد أشار الغرناطي في ملاك التأويل إلى أن المعاني المقصودة في الأذهان القائمة بنفوس العقلاء لا تحصل تعديتها إلى غير ما حق به إلا بالعبارات المترجمة عنها من الألفاظ الاصطلاحية [١٢]. وهذا ما أكده هاليدي في الستينات عندما عرض فكرته (التساوق = colloc tan) وهي تهدف إلى نبذ الجانب الذهني او التجريدي في تعريف المعنى والتعويل على السياق الذي تستعمل فيه الكلمات بغية التوصل إلى الاستعمال الدقيق للكلمة وطبقاً لهذا المستوى من التحليل فان معنى الكلمة يستمد من خلال الكلمة او مجموعة الكلمات الأخرى [١٣], أي أننا لكي نحدد المعنى الإشاري للكلمة يجب أن ندرس العناصر التي تتساوق معها.... وبدراسة الكلمة من خلال عملية التساوق نستطيع أن نقف على المعنى الدقيق ومعرفة المعنى الدقيق للكلمة يعين على الفهم الجيد للجملة[١٤].

وتكاد تكون النظرية السياقية حجر الأساس في علم المعنى[١٥], وبالتأكيد فالمسالة لا تقتصر في تحديد دلالة المفردة على السياق اللغوي حسب, وإنما تشمل كذلك كل ملابسات الموقف وهو ما يعرف بـ(المسرح اللغوي)[١٦].

إذاً لنقف الآن عند بعض الآيات القرآنية الكريمة لنشهد من خلالها الطاقة الإيمانية التي تحملها لفظة (النِّعْمَة) نظراً (لشفافيتها ورقتها).

وذكرت أن لفظة (النِّعْمَة) تعني فيما تعنيه (العطاء من الله سبحانه إلى عباده), أن هذا العطاء منه ما هو مادي ومنه ما هو معنوي, وسأقف أولاً عند العطاء المعنوي ومن ثم العطاء المادي, وبعد ذلك سأقف عند المعنى الذي يجمع بين العطاء المادي والعطاء المعنوي.

أولاً: الدلالة المعنوية للفظة (النِّعمَة) ومشتقاتها

وتشمل (الإسلام, الإيمان, الطاعة, العمل الصالح, الهداية)

١. **النِّعمَة بمعنى الدين والإيمان:**

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة/٣)، قال الزمخشري: بفتح مكة ودخولها... او أتممت عليكم نعمتي بإكمال أمر الدين والشرائع, كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك لأنه لا نعمة أتمُّ من نعمة الإسلام [١٧], وذكر ابن كثير أن هذه اكبر نِعَم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم [١٨].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ (الأحزاب/٣٧), نزلت هذه الآية في (زيد بن حارثة): (الذي انعم الله عليه) بالإسلام الذي هو اجل النعم. وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه و(أنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله ﷺ [١٩].

قال الزجاج معنى إنعام الله عليه هدايته إلى الإسلام ومعنى إنعام النبي ﷺ بإعتاقه إياه من الرِّقِ [٢٠], وقيل: أنعم عليه بالسلام [٢١].

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ (الصافات), وفُسِّرَت النِّعمة هنا بالعصمة والتوفيق والاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء كما فُسِّرَت بالإيمان[٢٢].

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٠﴾ (البقرة) في الحديث: تمام النِّعمة دخول الجنة, وعن الإمام علي رضي الله عنه تمام النِّعمة الموت على الإسلام [٢٣], ويبدو لي أن الأرجح هنا هو قول الإمام علي رضي الله عنه أي الموت على الإسلام

بدليل قوله تعالى في نهاية الآية (لعلكم تهتدون) أي يتمنى لهم الهداية بعد دخولهم الإسلام ورسوخه في قلوبهم وعقولهم ولا اعتقد أن السياق يحتمل أن يقال لهم لعلكم تهتدون بدخولكم الجنة لان الجنة مفاز المؤمنين وجزاؤهم أي أنها تأتي بعد مرحلة الدخول في الإسلام والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وفي تفسير الجلالين أُتِمَ عليكم نعمتي بالهداية إلى معالم دينكم [٢٤].

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران/١٠٣).

أمر تعالى بتذكر نِعَمِه وأعظمها الإسلام واتباع محمد ﷺ ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ أي صرتم بنعمة الإيمان أخوان في الدين [٢٥], وقيل أن هذا السياق جاء في شأن الأوس والخزرج وما كان بينهم من حروب فلما جاء الإسلام أصبحوا متحابين في الله تعالى[٢٦].

٢. النِّعْمَة بمعنى النبوة:

قال تعالى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ (القلم) أي حصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأصيل للنبوة [٢٧], وفُسِّرت بالنبوة[٢٨]، وقيل أن المعنى أي لستَ ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك, المكذبون بما جئت به من الهدى والحق المبين, فنسبوك فيه إلى الجنون [٢٩], فالهدى والحق المبين هنا بمعنى الرسالة والنبوة, وهذه هي النعمة العظيمة التي انعم الله بها على نبيه ﷺ.

قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝٥٩﴾ (الزخرف), أي ما عيسى إلا عبد انعم الله عليه بالنبوة وجعله مثالاً لبني إسرائيل, أي آية وعبرة يستدل بها على قدرة الله [٣٠]. وفسرها صاحب الجلالين بالنبوة أيضاً[٣١], والإمام الزمخشري يقول: (أنعمنا عليه) جعلناه آية, وذلك بـ: خلقه بغير سبب كما خُلِقَ آدم, وتشريفه بالنبوة.... [٣٢].

النِّعمَة بمعنى الإحسان والرحمة:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (لقمان), قيل أن بنعمته: بإحسانه ورحمته [٣٣], وفسرها القرطبي باللطف والرحمة[٣٤].

٣. النِّعمَة بمعنى الحُسنُ والجمال:

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ (الغاشية) أي ناعمة وذات بهجة وحسن وهو كقوله تعالى: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (المطففين) او منعمة [٣٥], و(نضرة نعيم) بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الأغنياء وأهل الترفه [٣٦] وقيل هي وجوه المؤمنين نعُمت بما عاينت من عاقبة أمرها وعملها الصالح [٣٧], وقيل أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نظرة النعيم أي صنعة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم [٣٨].

ثانياً: الدلالة المادية للفظة (النّعمة) ومشتقاتها

وتشمل (الإبل, الزرع, المطر,...)

في هذا المجال يكفينا وقوفاً عند صورة الأنعام دون سائر السُّور الأخرى وذلك إن لفظة الأنعام ذُكرت فيها لتدل على دلالات مادية ليس إلا– وفق ما ذُكر في التفاسير– مع أنني ألمحُ فيها في موضع من المواضع إشارة إلى مدلول مادي ومعنوي أي الأرزاق والإبل فضلاً عن الطاعة وسيتضح ذلك في موضعه إن شاء الله.

وعلى العموم فان الغالبية العظمى لدلالتها في سورة الإنعام تشير إلى الأنعام المادية نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ (الأنعام/١٣٩).

بداية اذكر أن للعلماء في الأنعام ثلاثة أقوال أولها أن الأنعام الإبل خالصة, والثاني: أن الأنعام الإبل وحدها وإذا كانت معها بقر فهي أنعام أيضاً. الثالث: وهو أصحها – حسب ما أورده القرطبي– ما قاله احمد بن يحيى: الأنعام كل ما أحله الله عز وجل من الحيوان [٣٩], وقيل أن الأنعُم واحدة والأنعام المال الراعية قال ابن سيده: (النِعَم الإبل والشاة تُؤنث وتُذَكَّر) [٤٠].

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ (الأنعام) قيل وهي هنا بمعنى كل أنواع الحيوانات من ذوات الأربع بدليل قوله (حمولة) قال ابن عباس: الحمولة كل ما حمل من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير (٤١).

وكثيرة هي الآيات التي وردت بها لفظة الأنعام بهذه الصيغة بالتحديد، وتشير في اغلبها إلى ذوات الأربع من الحيوانات, وقد ذُكِرَت في سورة الأنعام ست مرات، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ (الأنعام/١٣٩)، كما سبق ذكرها آنفاً.

في الآية (١٣٨) من سورة الأنعام ذُكِرَت لفظة (الأنعام) ثلاث مرات، كل مرة منها ترد متبوعة بصفة خاصة باللفظة السابقة لها. وتعدد الصفات ههنا فيه إشارة واضحة إلى أن لفظة الأنعام في كل مرة تُذكَر فيها في هذه الآية يجب أن تحمل دلالة مغايرة لدلالة ما سبقها تبعاً لاختلاف الصفة، قال تعالى: ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

وقد ذكرتُ فيما سبق أن الأنعام تعني ذوات الأربع كافة. قُسِّمَت هذه الحيوانات فجعلوها أجناساً بهواهم ونسبوا هذا التجنيس إلى الله (٤٢), فالأنعام التي حُرِّمَت ظهورها ذكر مجاهد المراد بها البَحيرة والوصيلة والحام، والبَحيرة الناقة التي تُنجب خمس أبطن وكان آخرها ذكراً بَحَروا أذنها أي شقُّوها، وأعفوا ظهورها من الركوب والحمل والذبح ولا تجلى ولا تطرد عن ماء ترده.

والوَصيلة: الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن فإن ولدت في السابعة عناقاً وجَدياً قيل: وَصَلت أخاها.

الحامي: الفحل من الإبل يضرب الضراب المدور، قبل عشرة أبطن فإذا بلغ ذلك قالوا هذا حام أي حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه شيء ولا يمنع من طرد ولا مرعى (٤٣), يريد يجعلونها سائبة لآلهتهم على ما تقدم من النُّصُب (٤٤).

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عن أبي وائل: لا يحجون عليها، وعن السَّدي: إن وَلَّدُوها ولا إن نحروها (٤٥), يعني ما ذبحوه لآلهتهم (٤٦).

إذاً الأنعام التي حُرِّمَت ظهورها تفسر بالنوق والجمال، وأما الأنعام التي لا يذكرون اسم الله عليها فقد فُسِّرَت أيضاً بما لا يُحَجُّ عليه أي أنها مما لا يُركب عليه، أي أنها يمكن أن تكون (جمالاً، بغالاً، حميراً)، فلم يبقَ من الأنعام من (ذوات الأربع) إلا (الأغنام، الماعز, الأبقار)، ويبدو لي أنها المقصودة بالأنعام الأولى التي أُضيف لها الحرث (أنعام وحرث حجر لا نطعمها إلا من نشاء) وهي ما خُصِّصَت لأن تكون طعاماً يؤكل.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ (الأنعام/١٣٦) أي جعلوا لأصنامهم نصيباً حتى صرفوا من مالهم طائفة إلى الله بزعمهم وطائفة إلى أصنامهم.. قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والمعنى متقارب:جعلوا لله جزاء ولشركائهم جزاء (٤٧).

و(الأنعام) إذاً لا تدل هنا على الحيوانات فقط فقد تدل على المال. وفي روح المعاني فسرها الآلوسي بـ(الثمر): إنهم كانوا إذا احترثوا حرثاً او كانت لهم (ثمرة) جعلوا لله منه جزءاً وجزءٌ للوثن (٤٨).

ثالثاً: الدلالة المعنوية والمادية لـ(النّعمة) ومشتقاتها

وتشتمل على كل ما تقدم من الأنعام المادية والمعنوية.

وتأتي في أكثر حالاتها مضافة إلى لفظة (الجَنَّة) قال تعالى: ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ (المائدة) وقال: ﴿ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ (التوبة) وقال تعالى: ﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الصافات) وقال تعالى أيضاً: ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ (يونس)، يحتمل أن تكون هنا دالة على كل أنواع النعيم التي مَنَّ الله بها على عباده، وذلك بإضافتها إلى الجَنَّة، حيث أن الجَنَّة مفاز المؤمنين وفيها ما فيها من النِّعَم المادية والمعنوية، ويُحتمل ان تكون دالة هنا على الراحة والطمأنينة الخالدة الأبدية.... والله أعلم.

وتُذكر لفظة (نِعمَة و الأنعام) في مواضع أخرى تحمل دلالات متعددة، قال ابن عباس رضي الله عنه: النِّعمَة: الظاهرة الإسلام، والباطنة ستر الذنوب (٤٩), قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (إبراهيم/٣٤).

(لا تحصوها) أي لا تحصروا ولا تطيقوا عدَّها وبلوغ آخرها [٥٠], فالنِّعمَة التي يعجز الإنسان عن إحصائها هنا قد تكون ظاهرة ويقصد بها الإسلام والدين والهداية وقد تكون باطنة ويقصد بها ستر الذنوب وقد تكون دالة على الأنعام من الحرث والزرع والإبل.. إلى آخره.

قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة/٦- ٧)، (الصراط المستقيم) طريق الحق وهو ملة الإسلام [٥١], وطريق الحق هذا لا يقف عليه إلا من عَمَّرَ الله قلبه بالإيمان والهدى. إذاً (الذين أنعمت عليهم) أي هديتهم للإيمان، ولكن قد يكون لها ابعد من هذه الدلالة لتُمَثِّل كل أنواع النِّعَم لأن من انعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبقَ نعمة إلا وأصابته واشتملت عليه [٥٢].

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ (البقرة/٤٠)، (النِّعمَة) هنا اسم جنس فهي مفردة بمعنى الجمع. ومن النِّعمَة على بني إسرائيل أن أنجاهم من آل فرعون، وجعل منهم الأنبياء، وأنزل عليهم المَنَّ والسلوى، وفجَّرَ لهم من الحجر الماء، إلى ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة (محمد ﷺ)، ونعته ورسالته، والنِّعَمُ على الآباء نِعَمٌ على الأبناء [٥٣], وهكذا نرى أن النِّعمَة في هذه الآية قد دلَّت دلالات معنوية في النبوة والهداية والرسالة، وأخرى مادية كالمن والسلوى وغيرها من النعم.

قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝ ﴾ (النحل) شُكرُ الله وحمده يمكن أن يكون على الرزق الحلال من المال والإبل والأكل والشرب وهذه دلالة مادية أوحت له لفظة (النِّعمَة)، ويمكن أن يكون شكراً على الهداية إلى الإسلام والإيمان والطاعة والعمل الصالح وهذه دلالة معنوية دلت عليها هذه اللفظة.

وهكذا يتضح لنا من خلال الآيات السابقة الذكر كافة كيف تلونت لفظة (النِّعمَة) بالألوان النادرة المختلفة، واتضح لنا كذلك الدور الذي يلعبه السياق والمسرح اللغوي في تحديد هذا اللون.

الفرق بين (نِعمَة) ومشتقاتها

هناك بعض الفروق الدلالية بين لفظة (نِعمَة) ومشتقاتها في القرآن الكريم، ولا تتضح هذه الفروق إلا من خلال وجود هذه الألفاظ داخل سياق الآيات القرآنية الكريمة، واضع هنا بعض التوضيح لهذه الفروق وبيان دلالتها:

أ. (أنعَمَ) و (نَعَّمَ)

ورد الفعل (أنعَمَ) سبع عشرة مرة في القرآن، وورد الفعل (نَعَّمَ) مرة واحدة، وكل من الفعل رباعي، لكن (أنعَمَ) مزيد بالهمزة، و (نَعَّمَ) مزيد بالتضعيف، فكلمة (أنعَمَ) وردت في سياق الأخبار عن نِعَم الله على الإنسان، كقوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (الفاتحة/٧).

أما كلمة (نَعَّمَ) فقد وردت في سياق الذم حيث تذم تصور أصحابها لحقيقة نِعَم الله, وتخَطِّئهم في هذا التصور.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ ﴾ (الفجر)، إن الأغبياء السذج الجاهلين لا يعرفون أساس تكريم الله وتفضيله للإنسان، فيظنون هذا الإكرام قائماً على أساس الإنعام. فكل من أعطاه النِّعَم المادية فقد أكرمه وأحبه وفضَّله، وكل من ضيق عليه رزقه فقد أبعده وأهانه! وهذا تصور باطل، وفهم مغلوط مردود(٥٤). وقد ردَّه القرآن وأبطله ونقضه حيث قال بعد ذلك: ﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧ ﴾ (الفجر)، أي كلا ليس الأمر كذلك، فما التكريم عند الله قائماً على أساس الإنعام المادي المالي الدنيوي(٥٥).

إذن (نَعَّمَ) وردت في سياق الذم، وأتبعها القرآن بالنقض والإبطال وهذا لم يحصل لسياق مرات ورود لفظة (أنعَمَ).

ب. (النِّعمَة) و (النَّعمَة)

وردت كلمة (نِعمَة) بالإفراد وكسر النون سبعاً وأربعين مرةً، ووردت كلمة (نَعمَة) بالإفراد وفتح النون مرتين، فما الفرق بين الكلمتين في السياق التي وردتا فيه؟

(النِّعمَة) بالكسر اسم هيئة، قال الراغب: وبناء النِّعمَة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجِلسة والرِّكبة (٥٦).

ومعنى كونها اسم هيئة: أنها تشير إلى الحالة المستمرة الدائمة للإنسان وتدل على هيئته وهو يتقلب في نِعَمِ الله.

أما (النَّعمَة) بالفتح فهي اسم مرَّة، قال الراغب: وبناء النَّعمَة بناء المرَّة من الفعل كالضَّربة والشَّتمة [٥٧].

ومعنى كونها اسم مرَّة: أنها توحي كأن النَّعمَة لم تُصب صاحبها إلا مرة واحدة، وتوحي بِقِصَر مدتها وسرعة زوالها... والله اعلم.

فالسياق الذي وردت فيه (النَّعمَة) في مرتي ورودها يدل على ذلك، فأولها عند ذكر القرآن الكريم قصة غرق فرعون وقومه وما كانوا فيه من نعمة إذ يقول تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الدخان).

لقد ترك فرعون وقومه خلفهم الجنات والعيون والأنهار والزروع والأماكن الحسنة ونِيل مصر العظيم، والنِّعمة التي كانوا فيها فاكهين، تركوها لغيرهم، ولم ينتفعوا بها بعد موتهم[٥٨].

لقد اعتبرها القرآن كأنها نعمة واحدة، مع أنها نِعَمٌ كثيرة: جنات وعيون وزروع ومقام كريم، لأنها زالت عنهم، فلسرعة زوالها إذ سُلِبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير [٥٩], كأنها نِعمَة واحدة، وصدق الله حيث يقول: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر)، لهذا كله ناسب أن تأتي كلمة (نَعمَة) تعبيراً عما كان فيه فرعون وجنوده قبل غرقهم، لتفيد كأن كل تلك النِّعَم (نَعمَة) واحدة، استمتعوا بها مرة واحدة، للحظة واحدة.

أما المرة الثانية التي وردت فيها (النَّعمة) بالفتح، في قوله تعالى: ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ (المزمل).

تتحدث الآيات عن عذاب الكفار المكذبين المترفين يوم القيامة، وتعرض من خلاله قيمة تنعمهم بالنِّعم الكثيرة في الدنيا، ذلك التنعم الذي استمر عشرات السنين، فماذا يساوي بالقياس إلى عذابهم الأبدي الدائم الخالد في جهنم؟[٦٠].

ولهذا ناسب أن تأتي (النَّعمَة) بفتح النون، وأن يضاف إليها (أولي النَّعمَة) لتفيد معنى المرة الواحدة، كأنهم لم يتنعموا في حياتهم الدنيوية إلا بنعمة واحدة، مرة واحدة، للحظة واحدة.

وقد بين رسول الله ﷺ هذا المعنى، وأشار إلى أن الكافر يوم القيامة يغمس غمسة في النار، ثم يُسأل عن تنعمه في الدنيا، فيجيب بأنه لم يذقها قط!

روى مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **يُؤتى بأنعَمِ أهل الدنيا، من أهل النار، يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يُقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب...** [٦١].

ج. (النِّعمَة) و(النَّعماء)

وردت كلمة (نَعماء) مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ (هود)، فما هو الفرق بين النِّعمَة والنَّعماء؟

عرفنا أن (النَّعمَة) هي الحالة الدائمة للإنسان، وهي اسم هيئة، أما (النَّعماء) فهي مأخوذة من (النَّعمة) بفتح النون. وقد عرفنا أن (النَّعمة) هي اسم مرة من النِّعمة، فالنَّعماء كذلك توحي بالمرة من النِّعمَة.

و(النَّعماء) التي وردت في السياق القرآني توحي بأنها مقابلة للضراء، وهو ما أوحى إليه السياق القرآني أيضاً.

فالنَّعماء هنا في مقابل الضراء، والتقابل بين حالتين تصيبان الإنسان، لا ثالث لهما, فالإنسان إما في نعماء أو في ضراء[٦٢].

ولهذا جاءت (نَعماء) بفتح النون، لأنه لا يراد هنا ذكر النِّعَم الكثيرة، بل يراد الإشارة إلى جنس النِّعَم وصنفها مقابل جنس الضراء وصنفها[٦٣].

أما الفرق بين (النَّعمَة) و (النَّعماء): فهو أن (النَّعمَة) هي المرة الواحدة الواردة في سياق النِّعمَة الذاهبة التي لا تعود كما بيَّنَّا سابقاً، أما (النَعماء) فهي المرة الواحدة من النِّعمة الواردة في سياق (النَّعماء) القادمة على صاحبها، بديلاً عن الضراء الذاهبة، وهذا ما أوضحناه من خلال سياق الآيات القرآنية السابقة.... والله أعلم.

د. (النِّعَم) و(الأنعُم)

كل من (النِّعَم) و(الأنعُم) صيغة جمع لكلمة (نِعمَة)، فكلمة (نِعَم) وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ (لقمان)، أما كلمة (أنعُم) فقد وردت مرتين في سورة النحل.

الأولى: إشارة إلى مكة، القرية التي كانت آمنة مطمئنة، فكفرت بأنعُم الله، فبَدَّلَ الله حالها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل).

الثانية: في مدح إبراهيم عليه السلام والثناء عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ (النحل).

وعندما ننظر في السياق لكل من المواضع الثلاثة، سندرك الفرق بين اللفظتين فـ(النِّعَم) أعَمُّ من (الأنعُم)، فهي شاملة للنِّعَم الظاهرة مثل المال والمتاع والعقار، والنِّعَم الباطنة مثل الصحة والعافية والسعادة والهناء، شاملة للنِّعَم الدقيقة الخفية، والنِّعَم الجلية البارزة.

ونأخذ هذين النوعين من نوعي النِّعَم في الآية، حيث قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان/٢٠)، فقسم النِّعَم لقسمين: نِعَمٌ ظاهرةٌ، ونِعَمٌ باطنةٌ(٦٤).

أما (الأنعُم) فهي أخص من (النِّعَم)، إنها خاصة بالنِّعم الظاهرة، فالقرية– مكة– التي ضرب الله بها المثل للكافرين، كانت تستمتع بنعم الله، من الأمن والاطمئنان الملحوظين عليها وعلى أصحابها، الظاهرينِ فيها وفي حياة أصحابها، بدليل هذا الرزق الذي يأتيها من كل مكان، فكفرت بهذه الأنعُم الربانية الظاهرة، فسلبها الله هذه الأنعُم، وألبسها لباس الجوع والخوف، واللباس عقوبة ظاهرة بديل عن أنعُم الظاهرة، وكأنه شيء بارز يغطي ما تحته(٦٥).

والمثال الثاني لـ(الأنعُم) هو أثر هذه الأنعم على النفوس المؤمنة، ويقدم القران صورة مشرقة رضية لهذه النفوس، وشُكرها لأنعُم الله، ممثلة بأبي الأنبياء (إبراهيم عليه السلام) فهو شاكر لأنعُم الله عليه الظاهرة، وهو شاكر لنِعَم الله الظاهرة المتمثلة في ولديه إسماعيل وإسحق–

عليهما السلام-، وفي إسكان أهله بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيته المحرم، وفي بنائه البيت المحرم هناك... وهذه كلها نِعَمٌ ظاهرة.

ونلحظ الارتباط الوثيق بين (الأنعُم) الظاهرة في الآيتين، فقريش في مكة كفرت بأنعُم الله الظاهرة المتمثلة بالرزق الرغيد في كل مكان، وإبراهيم عليه السلام الذي يزعم القرشيون الانتساب إليه، شاكر لأنعُم الله الظاهرة، فلماذا لا يقتدون بجدهم عليه السلام ويشكرون أنعُم الله كما شكر، بدل أن يكفروا بأنعُم الله تلك.

فقريش كفرت بأنعُم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، وإبراهيم عليه السلام كان شاكراً لأنعُمه فاجتباه ربه وهداه إلى صراط مستقيم.

هـ. (النِّعَم) و(الأنعام)

قلنا أن (النِّعَم) جمعُ نِعمَة، وهي عامة تشمل النعم الظاهرة والباطنة أما (الأنعام) فهي خاصة بنوع من أنواع النعم الظاهرة، وهو الماشية من الإبل والبقر والغنم[٦٦]، وسُمِّيَت هذه الأصناف الثلاثة أنعاماً، لأنها من (الأنعُم) أي: النِّعَم الظاهرة، ومجال التنعم فيها واسع, ومظاهر الإنعام فيها بارزة.

و. (النِّعمَة) و(النَّعيم)

نقف أخيراً لنبين الفرق بين (النِّعمة) و(النَّعيم) في القرآن الكريم، فالنِّعمَة- كما بَيَّنا- الحالة الدائمة للإنسان، لأنها اسم هيئة. أما (النَّعيم) فهو أخص من (النِّعمَة).

هو من زاوية (النِّعمَة الكبيرة)[٦٧] كما ذكر الإمام الراغب، وهو من حيث الاستعمال القرآني: خاص في نعيم الجنة فقط.

فالفرق بينهما إذاً، أن (النِّعمَة) أُطلِقَت في القرآن على نِعَم الدنيا الظاهرة والباطنة, وهي نِعَمٌ زائلة فانية.

أما (النَّعيم) فقد أُطلِقَ على نعيم الآخرة، النعيم الدائم الخالد الباقي الذي يستمتع به المتقون في الجنة مخلدون فيها، كما أن لفظ (النعيم) الذي هو على وزن (فعيل) وهي صيغة مبالغة، يدل على أن نعيم الآخرة أكثر واكبر وابلغ من (النِّعمَة) التي تختص بالنِّعَم الدنيوية فقط.

وقد وردت لفظة (النَّعيم) في القرآن ست عشرة مرة معرفة بـ أل التعريف، ووردت مرة واحدة نكرة مفعول به. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) ﴾ (الواقعة)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٦٥) ﴾ (المائدة).

ويلاحظ أن السياق كان يذكر كلمة (جَنَّة) و (جَنَّات) في الآية التي تذكر لفظة (النَّعيم)، مما يُرجح أن (النَّعيم) خاص بنَعيم الجَنَّة. ويبدو أن الحكمة من إطلاق (النَّعيم) على نَعيم الجَنَّة هي كثرة نِعَم الجَنَّة ودوامها. فالنَّعيم هو النِّعَمُ الكثيرة– كما أوضحنا– ونَعيم الجَنَّة كثير دائم مستمر متجدد مقيم.

وخلاصة لما تقدم فان لفظة (النِّعمَة) تقع في ثلاثة مستويات دلالية مختلفة، هي الدلالة المعنوية، والدلالة المادية، والدلالة المعنوية والمادية معاً. وان هناك العديد من الفروق الكبيرة بين هذه اللفظة ومشتقاتها كـ(النَّعمَة، النِعَم، النَّعيم، والأنعام... الخ) كل هذه المستويات والدلالات الفرعية تحمل في داخل النص القرآني من المعاني ما تقف النصوص الشعرية والنثرية عاجزة عن حمله وتقديمه بهذه الدقة والرصانة والإيحاء الذي سلب العقول والقلوب لتدبره وتدبر كل ما يمكن أن يحمله من دلالات ليؤدي بذلك الوظيفة الأولى والأخيرة للغة وهي وظيفة الإيصال وتقوية حبال المرسلة اللغوية التي تربط المرسل بالمتلقي.

نتائج البحث

بعد البحث والدراسة في مصطلح (النِّعمَة) ودلالة تراكيبها توصلت إلى بعض النتائج التي أراها مهمة وهي الآتي:

١. جاءت (النِّعمَة) في القرآن الكريم بالمعنى المتعارف عليه عند الناس، أي بالمعنى المادي المحسوس، فجاءت بمعنى نِعمَة الحيوانات ذات الأربعة أرجل، وجاءت بصيغة (الأنعام) وهي بمعنى الإبل والبقر والغنم والماعز والبغال وغيرها، حسب الصفة التي تجيء بها داخل السياق القرآني الكريم.

٢. إن لفظة (النِّعمَة) لم تأتِ بالمعنى المادي المحسوس فقط، نحو نعمة (المال، والأولاد، والجاه)، وانما جاءت بالمعنى المعنوي الغير محسوس، نحو قوله تعالى في مخاطبته

للنبي ﷺ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ إذ أن (النِّعمَة) هنا بمعنى النبوة وهو معنوياً لا مادياً، وقد تأتي بمعنى الإحسان والجمال والإسلام والهداية، وهذه المعاني جميعها معنوية لا مادية.

٣. قد تشترك المعاني المادية مع المعنوية في لفظة (النِّعمَة) وتراكيبها وذلك حسب المراد بالسياق القرآني نحو قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ فالنعمة هنا بمعنى الإسلام والهداية وهذه معانٍ معنويةٍ، وهي في الوقت نفسه تعني الرزق في الإنعام والمال والجاه والولد، وهذه معانٍ مادية محسوسة.

٤. هناك معانٍ عدة لمصطلح (النِّعمَة) وتراكيبها، وتنوع هذه المعاني يأتي أحياناً بزيادة حرف أو تغيير حركة، فـ(النِّعمة) بكسر النون، غير (النَّعمة) بالفتح، و(النَعَماء) غير (النعيم) و(النعيم) غير (الأنعم).

ذلك حسب مجيء هذه الألفاظ في داخل السياق القرآني كما هو مبين في ثنايا البحث.

الهوامش

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية للرازي: ١/٩.

(٢) التعبير الفني في القرآن الكريم, بكري شيخ أمين: ١٨٥.

(٣) بلاغة القرآن الكريم، احمد بدوي: ٧٥.

(٤) دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٩٠.

(٥) لسان العرب، ابن منظور: مادة (نعم) / ٦٧٤.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٨١٤-٨١٥.

(٧) ينظر التعبير الفني في القرآن: ١٨٥.

(٨) لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم: ٣٦٥.

(٩) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ١/١٠٢.

(١٠) النجاة في العبارة، ابن سينا: ٦.

(١١) التطور الدلالي, عودة خليل عودة: ٧٣.

(١٢) ملاك التأويل, الغرناطي: ١/٨٠٧.

(١٣) معنى الكلمة بين الاتجاه التجديدي والاتجاه الوظيفي: ٦٢, نقلاً عن هاليدي: ٤، ١٩.

(١٤) ينظر المصدر نفسه: ٦٢ – ٦٥.
(١٥) ينظر دور الكلمة في اللغة, المان ستيفن: ٦٧.
(١٦) ينظر التطور الدلالي: ٨٠.
(١٧) الكشاف، الزمخشري: ٢٧٨/٦.
(١٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١٩/٢.
(١٩) الكشاف: ٨٥٦/٢٢.
(٢٠) لسان العرب: ٦٧٤/٣.
(٢١) تفسير الجلالين للسيوطي: ٥١١.
(٢٢) ينظر تفسير القرطبي: ٨٤/١٥، الجلالين: ٥٤٣.
(٢٣) الكشاف: ١٠٤/٢.
(٢٤) تفسير الجلالين: ٢٧٠.
(٢٥) تفسير القرطبي: ١٦٤/٧.
(٢٦) ينظر تفسير القرآن العظيم: ٥١٧/١.
(٢٧) الكشاف: ١١٢٩/٢٩.
(٢٨) ينظر تفسير الجلالين: ٦٩٥.
(٢٩) تفسير القرآن العظيم: ٥١٦/٤.
(٣٠) تفسير القرطبي: ٧١/٨.
(٣١) ينظر تفسير الجلالين: ٦٠٠.
(٣٢) الكشاف: ٩٤٩/٢٥.
(٣٣) الكشاف: ٨٤٠/٢١.
(٣٤) ينظر تفسير القرطبي: ٥٣/١٤.
(٣٥) الكشاف: ١١٩٧/٣٠.
(٣٦) المصدر نفسه: ١١٩٨/٣٠.
(٣٧) تفسير القرطبي: ٣٢/٢٠.
(٣٨) تفسير القرآن العظيم: ٦٢٧/٤.
(٣٩) تفسير القرطبي: ١١١/٧.
(٤٠) لسان العرب: ٦٧٦/٣.
(٤١) تفسير القرطبي: ١١٢/٧.

(٤٢) الكشاف: ٣٤٨/٨.

(٤٣) تفسير القرطبي: ٩٥/٧.

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) المصدر نفسه: ٤٤/٨.

(٤٦) المصدر نفسه: ٩٥/٤.

(٤٧) تفسير القرطبي: ٨٩/٧.

(٤٨) روح المعاني للآلوسي: ٣١/٨.

(٤٩) لسان العرب: ٦٧٤/٣.

(٥٠) الكشاف: ٥٥٣/١٣.

(٥١) الكشاف: ٢٩/١.

(٥٢) المصدر نفسه: ٢٣/١.

(٥٣) تفسير القرطبي: ٣٣٢/١.

(٥٤) ينظر تفسير القرآن العظيم: ٦٥٧/٤، نظم الدرر: ٤١٩/٨.

(٥٥) ينظر المصدر نفسه.

(٥٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٨١٤.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) ينظر تفسير القرآن العظيم: ١٨٠/٤-١٨١.

(٥٩) تفسير القرآن العظيم: ١٨١/٤.

(٦٠) ينظر نظم الدرر: ٢١٠/٨.

(٦١) شرح صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي: ٤٧/١٧, كتاب صفات المنافقين, باب صبغ أنعَم أهل الدنيا في النار.

(٦٢) ينظر تفسير الشعراوي: ٦٣٥١/١٠-٦٣٥٢.

(٦٣) المصدر نفسه: ٦٣٥٢/١٠.

(٦٤) ينظر تفسير الشعراوي: ١١٦٨٢/١٩-١١٦٨٣.

(٦٥) ينظر تفسير القرآن العظيم: ٧٧٥/٢-٧٧٦، وتفسير الشعراوي: ٨٢٧٣/١٣-٨٢٧٤.

(٦٦) ينظر مفردات ألفاظ القرآن: ٨١٥.

(٦٧) مفردات ألفاظ القرآن: ٨١٤.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٧٣م.
٣. بلاغة القرآن الكريم.
٤. التطور الدلالي بين لغة القرآن ولغة الشعر، عودة خليل عودة، ط١، مكتبة المنار, الزرقاء- الأردن، ١٩٨٥م.
٥. التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، ط١، دار العلم للملايين، ١٩٩٤م.
٦. تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي وجلال الدين الحلبي، د.ت.
٧. تفسير الشعراوي، راجع أصله وخَرَّجَ أحاديثه الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٦٠م.
٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية- القاهرة، ١٩٦٠م.
٩. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح. فايز الداية ومحمد رضوان الداية، ط مكتبة سعد الدين- دمشق، ١٩٨٧م.
١٠. دور الكلمة في اللغة، ستيفن المان، ترجمة كمال بشر، دار الشباب مصر، ١٩٨٩م.
١١. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان, د.ت.
١٢. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم بن حمدان الرازي، عارضه بأصوله وعَلَّقَ عليه حسين بن فيض الله الحمداني، ط٢، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، القاهرة، ١٩٥٧م.
١٣. شرح صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، حقق أصوله وخَرَّجَ أحاديثه على الكتب الستة ورقَّمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف الشيخ خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.
١٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، تح. خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٢م.

١٥. لسان العرب، ابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، د. ت.

١٦. لغة القرآن الكريم، عبد الرحيم عبد الجليل، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان – الأردن، د. ت.

١٧. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، العلامة الراغب الأصفهاني، تح. صفوان عدنان داوودي، دار العلم، دمشق– الدار الشامية، بيروت، د. ت.

١٨. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في متشابه اللفظ في آي التنزيل، الغرناطي، تح. سعيد الفلاح، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م.

١٩. النجاة في المحكمة المنطقية والطبيعة الإلهية، ابن سينا، ط٢، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٨م.

٢٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرَّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه السفلية عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٢٠٠٣م.

البحوث

- معنى الكلمة بين الاتجاه التجريدي والاتجاه الوظيفي، يحيى أحمد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، م: ٤، ع: ١٦، جامعة الكويت، ١٩٨٤م.